

❁ فرق وملل ❁

(٥٧٣) يقول السائل أ. ع.: نعرف أن هناك بدعًا منحرفة؛ مثل الخوارج

والمعتزلة، فما الضابط الذي نعرف به الفرقة الخارجة عن الإسلام؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: البدع أنواع؛ منها ما يخرج من الإسلام، ومنها ما لا يخرج، والضابط: الرجوع إلى الكتاب والسنة، فما دل القرآن والسنة على أنه بدعة مكفرة، كالذي يعتقد أن من أوليائه من يدبر الكون، وينزل المطر، ويدخل الجنة، وينجي من النار، وما أشبه ذلك، هذا بدعته مكفرة، ولا ينفعه إلا أن يتوب منها قبل أن يموت. وبعض البدع لا تصل إلى حد الكفر، بل تكون شرًا أصغر، أو كبيرة من كبائر الذنوب، أو معصية من المعاصي، لكن البدع خطيرة كلها.

(٥٧٤) يقول السائل: من المعتزلة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: المعتزلة هم طائفة مبتدعة، يقولون في الله، وفي كلام الله، وفي أفعال الله، ما يخالف مذهب أهل السنة والجماعة، ورئيسهم عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء، وسُمُّوا معتزلة؛ لأنهم اعتزلوا مجلس الحسن البصري؛ حيث كان يقرّر أن فاعل الكبيرة لا يخرج من الإيمان، بل هو مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، فاعتزلوا هذا المجلس مجلس الحسن البصري، وقالوا بقولتهم المشهورة: إن فاعل الكبيرة في منزلة بين منزلتين، فليس مؤمنًا وليس كافرًا، لكنه مع ذلك مُخلّد في النار.

فهم يلتقون بالخوارج في القول بأن فاعل الكبيرة مُخلّد في النار، لكن الخوارج يُصرّحون بأنه كافر خارج عن الإسلام، وهؤلاء يُصرّحون بأنه خارج عن الإسلام، لكنهم لا يجرمون أن يقولوا: إنه كافر. بل يقولون: إنه في منزلة بين منزلتين، فأثبتوا هذه المنزلة المخالفة لكلام الله -عز وجل-، حيث قال تبارك وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَنُكِّمُكُمْ كَافِرًا وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢٢]. وليس

هناك قسم ثالث ليس بكافر ولا مؤمن إلا على قول هؤلاء المعتزلة، الذين ابتدعوا في دين الله وشريعته ما ليس منها.

(٥٧٥) يقول السائل أ. أ. من سوريا: من الصابئة؟ هل هم الذين

خرجوا عن دين الله، أم من دين الله؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: اختلف فيهم العلماء -رحمهم الله-، قيل: إن الصابئة على دين، وقد خرجوا عن دين قومهم، وقيل: إن الصابئة من لا دين لهم، ولم يتحرر عندي أي القولين أصح. فالله أعلم.

(٥٧٦) يقول السائل م. ح. ج.: نقرأ ونسمع عن أهل الكلام والمتفلسفة

عن كثير من العلماء، فمن هؤلاء؟ وما الكلام المنسوب إليهم؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الإفادة في هذا أن أهل الكلام هم الذين اعتمدوا في إثبات العقيدة على العقل، وقالوا: إن ما اقتضى العقل إثباته من صفات الله -عز وجل- والعقيدة فهو ثابت، وما لم يقتضِ العقل إثباته فإنه لا يثبت. ويسلكون في ذلك إحدى طريقتين:

الطريق الأول: إن كان يمكنهم الطعن في هذا الدليل -أي: في ثبوت هذا الدليل- طعنوا فيه، فلو كان هناك حديث يدل على صفة من صفات الله، وهم لا يشبونها، حاولوا أن يطعنوا في الحديث، حتى يقولوا: إنه غير صحيح. ولا يعتمد على غير الصحيح.

الطريق الثاني: إذا صحَّ الدليل من حيث الثبوت حاولوا إنكاره من حيث التأويل، فأولوه بأنواع من التأويلات الباردة، التي لا تغني من الحق شيئاً. فمثلاً هناك مبتدعة لا يُشَبِّهون أن الله تعالى موصوفٌ بالرحمة، ومعلوم أن القرآن مملوءٌ من هذه الصفة لله -عز وجل-، مثل قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ [الأنعام: ١٣٣]، ومثل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾

[يونس: ١٠٧]. والآيات في هذا كثيرة، فيقولون: إن الله تعالى ليس له رحمة، ولا يجوز أن يوصف بالرحمة، والمراد برحمة الله تعالى إحسانه إلى الخلق فقط. فيفسّرون هذه الصفة بآثارها دون اتصاف الله تعالى بها، أو يقولون: المراد بالرحمة إرادة الإحسان إلى الخلق، ومعلوم أن إرادة الإحسان ثمرة من ثمرات الرحمة، فهؤلاء لا يمكنهم إنكار رحمته من حيث الثبوت، لكن أنكروها من حيث التأويل، وقالوا: المراد بها كذا وكذا.

وكذلك قالوا في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢]: إن المراد جاء أمر الله؛ لأن الله تعالى لا يمكن أن يأتي، فلا يمكنهم أن يردوا هذا الدليل من حيث الثبوت؛ لأنه في القرآن، لكنهم حاولوا رده من حيث التأويل، وقالوا: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾. أي: جاء أمر ربك، ولا شك أن التأويل الذي لا دليل عليه يُسمّى تحريفاً، هذا هو الأحق به؛ لأنه صرّف كلام الله ورسوله إلى غير ما أراد الله ورسوله، فيكون ذلك تحريفاً للكلم عن مواضعه، فالتكلمون هم الذي أثبتوا عقائدهم فيما يتعلق بالله تعالى، وفي أمور الغيب، بالعقول لا بالمنقول.

أما المتفلسفة فهم: الذين انتحلوا ملة الفلسفة الموروثة عن اليونان والفرس ونحوهم، وهي أيضاً بعيدة من الحق، لكن ما وافق الحق منها فهو حق، ولا ينبغي أن يُنسب إلى آراء هؤلاء المتفلسفة، بل إلى كتاب الله، وسنة رسوله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-؛ لأن الله تعالى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق، وما كان منها باطلاً فلا خير فيه.

(٥٧٧) يقول السائل أ. م. ح. وهو مصري: نسأل عن الناس الذين يعطون الناس العهود؛ مثل الطرق الشاذلية والصوفية والرفاعية والبيومية، ويقىمون الأذكار في موالد أولياء الله الصالحين؛ مثل سيدنا الحسين والسيدة زينب والسيد البدوي، والكثير من أولياء الله الصالحين. فما حكم الشرع -في نظركم- في ذلك؟

فأجاب - رحمه الله تعالى - الذي نرى في هذه الطرق وغيرها من الطرق والنحل والمذاهب أنه يجب أن تُعرَض على كتاب الله، وسُنة رسول الله ﷺ، فما كان منها حقاً قُبِلَ، وما كان منها باطلاً وَجِبَ رده، وعدم الاعتماد عليه، وعدم التمسك به.

وهذه الطرق التي عدّدها السائل تنبني على ما أشرنا إليه من وجوب عرضها على كتاب الله، وسُنة رسول الله ﷺ، فإذا اشتملت هذه الطرق على دعاء الأولياء، وتقديم محبتهم على محبة الله ورسوله، والتعلق بهم ودعائهم، كان ذلك داخلاً في الشرك، وقد يكون شركاً أكبر مخرجاً عن الملة، فلا ينتفعون بهذه الطرق.

وإن نصيحتي لهم ولغيرهم أن يرجعوا في أمرهم وشئون دينهم إلى ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، فإن ذلك هو الخير، وهو الذي ينفعهم عند الله، وأما هذه الأمور التي يتعلقون بها فإنها لا أصل لها.

(٥٧٨) يقول السائل: ما موقف الإسلام من الصوفية؟

فأجاب - رحمه الله تعالى - الصوفية كلمة قيل: إنها مشتقة من الصِّفَا. وقيل: إنها مشتقة من الصفوة. وقيل: إنها مشتقة من الصوف. وهو الأقرب؛ لأنهم كانوا إبان ظهورهم يرتدون الألبسة من الصوف تقشُّفاً وتزهداً. والصوفية لها طرق متعددة، تصل بهم أحياناً إلى الكفر الصريح؛ حيث إنهم يصلون إلى القول بوحدة الوجود، وأنهم لا يُشاهدون إلاَّ الربَّ، ويعتقدون أن كل شيء مُشاهد من آيات الله - تبارك وتعالى - فإنه هو الله، ولا شك أن هذا كفر صريح، ومنهم من يَشُدُّ عن الإسلام دون ذلك، وهم على درجات متفاوتة.

وأنا أنصح السائل أن يقرأ كتاب «هذه هي الصوفية» للشيخ عبد الرحمن الوكيل رحمته الله؛ لأنه يبيِّن في هذا الكتاب ما كان عليه الصوفية، الذين يدَّعون

أنهم أهل الصفاء والمعرفة بالله - عز وجل -، وهم في الحقيقة أجهل الناس بالله؛ لأن أعلم الناس بالله رسول الله ﷺ، ثم خلفاؤه الراشدون في هذه الأمة، ثم التابعون لهم بإحسان، هؤلاء هم أعرف الناس، وكل من سلك سبيلاً غير سبيلهم فإن فيه من الجهل بالله بمقدار ما نأى به عن طريق النبي ﷺ وخلفائه الراشدين.

(٥٧٩) تقول السائلة غريبة الأصلاني من محافظة بياي بالعراق: عندنا

الكثير من كتب التصوف، فما رأي الشرع - في نظركم - في هذه الكتب وفي التصوف؟

فأجاب - رحمه الله تعالى -: نظري في التصوف - كغيره مما ابتدع في الإسلام - ما بينه رسول الله ﷺ لأمته؛ حيث قال: «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَظُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»^(١).

فالتصوف المخالف لهدي الرسول ﷺ بِدْعَةٌ وضلالة، يجب على المسلم أن يتعد عنها، وأن يأخذ طريق سيرة إلى الله من كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وأما كتب الصوفية فإنه لا يجوز اقتناؤها، ولا مراجعتها، إلا لشخص يريد أن يعرف ما فيها من البدع من أجل أن يرد عليها، فيكون في نظره إليها فائدة عظيمة، وهي: معالجة هذه البدعة حتى يسلم الناس منها، ومن المعلوم أن النظر في كتب الصوفية وغيرها من البدع من أجل أن يعرف الإنسان ما عندهم حتى يرد عليهم، ومن المعلوم أن هذا أمر مرغوب فيه، إذا أمن الإنسان على نفسه من أن ينحرف بسبب هذه الكتب.

(٥٨٠) يقول السائل: نظام الدين باكتاني: ما قولكم في التصوف والصوفية؟ مع العلم أن التاريخ الإسلامي قد حفظ لنا من خريجي التصوف من غير حصرٍ رجالاً لا تلهيهم تجارةٌ ولا بيعٌ عن ذكر الله، وهذه حقيقة لا تحتاج إلى مزيدٍ من البحث، فترجو منكم الإجابة عن هذا؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: جاء في الحديث: «فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ»^(١). فلعل هذه الخطبة كافية في الجواب عن هذا السؤال، وذلك أن الطريق الصوفي طريقٌ مُبتدع، ما أنزل الله به من سلطان، فليس عليه رسول الله ﷺ، ولا خلفاؤه الراشدون، ولا الأئمة المهديون، وهو -أي الطريق الصوفي- على درجاتٍ متفاوتة، منها ما يوصل إلى الكفر الصريح، ومنها ما يوصل إلى الفسق، ومع ذلك فهو متفاوتٌ تفاوتاً كبيراً، ولا يمكن أن نحكم عليه حكماً عاماً يشمل جميع درجاته.

ولكنني أقول: بدلاً من أن يُتعب الإنسان نفسه في هذا الطريق الصوفي وتصوره، والعمل بمصطلحاته، ليتعب نفسه في طريق النبي ﷺ وخلفائه الراشدين والأئمة المهديين، حتى يتبين له الحق، ويتبعه، ويعبد الله على علم وبصيرة؛ لأن الطريقة الصوفية مبنية إما:

١- على جهل بالشرعية، فتكون عمى وضلالاً.

٢- وإما على إصرارٍ وعناد، فتكون استكباراً واستنكافاً، وكل ذلك لا يرضاه المسلم في دينه.

وإنني أشير -بل أنصح- أخي السائل أن يتجنب هذا الطريق، وأن ينظر إلى الطريق السليم المبني على كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وفيه كفاية وهداية، وما سواه من الطرق فإنه ضلالٌ وعمية، نسأل الله السلامة.

(٥٨١) **يقول السائل:** كثرت الفرق الضالة في زماننا هذا، ومن هذه الفرق الضالة الصوفية والتيجانية؛ حيث إن لها أنصارًا يدعون أنهم على طريقة صحيحة، وأنهم على حق. نرجو منكم معالجة هذه الطرق الباطلة، وإبانة الحق لأولئك المخدوعين والمغرورين بهذه الطرق الضالة؟

فأجاب - رحمه الله تعالى -: فإن الجواب على هذا السؤال مأخوذ مما ثبت في صحيح مسلم، من حديث جابر رضي الله عنه، أن النبي ﷺ كان يقول في خطبة الجمعة: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُخَدَّنَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» ^(١)، وللنسائي: «وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ» ^(٢).

فهذه الطرق التي أشار إليها السائل، وغيرها من الطرق الأخرى، هل تنطبق على هدي النبي ﷺ أو لا تنطبق؟ فإن كانت منطبقة فهي صحيحة، وهي خير الهدي، وهي الطريق الموصل إلى الله عز وجل، وهي الهدى والشفاء والصلاح والإصلاح والاستقامة. وإن كانت مخالفة لهدي النبي ﷺ فهي ضلال وشقاء على أصحابها، وعذاب عليهم، لا يستفيدون منها إلا التعب في الدنيا، والعذاب في الآخرة، وكلما كانت أشد مخالفةً لهدي النبي ﷺ كانت أكثر ضلالاً، وقد تصل بعض هذه الطرق إلى الكفر البواح.

مثل أولئك الذين يقولون: إنهم: وصلوا إلى حدٍّ يعلمون به الغيب. أو: إن أولياءهم يعلمون الغيب. أو: إن فلاناً يُنجي من الشدائد، أو يجلب الخير، أو ينزل الغيث. أو ما أشبه ذلك، مما يُدعى لهؤلاء الذين يزعمون أنهم أولياؤهم وأئمتهم، فإن الله - عز وجل - يقول في كتابه: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]. فمن ادعى أن أحداً يعلم الغيب فقد كذب هذه الآية الكريمة، فمن ادعى أنه يعلم الغيب، أو أن أحداً من الناس يعلم الغيب فقد كذب هذه الآية الكريمة.

(١) تقدم تحريجه.

(٢) تقدم تحريجه.

ويقول الله تعالى آمراً نبيه أن يعلن للملأ أن يقول: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُمْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [الأنعام: ٥٠]. وفي قوله تعالى: ﴿إِنْ أَتَيْتُمْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [الأنعام: ٥٠]. دليل على أنه ﷺ عبد مأمور، وقد كان ﷺ كذلك، أي أنه أعظم الناس عبودية لله، وأتقاهم له، وأقومهم بدين الله - صلوات الله وسلامه عليه -.

ويقول الله تعالى لنبيه محمد ﷺ آمراً إياه: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ۝ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ [الجن: ٢١-٢٢]. فإذا كان هذا في حق النبي ﷺ فما بالك بمن دونه من الخلق؟ بل ما بالك بمن ادّعى أنهم أولياء، وأنهم هداة، وهم في الحقيقة أعداء وضلّال، وطغاة وبُغاة؟ فنصيحتي لهؤلاء ولغيرهم، ممن خرجوا ببدعهم من هدي النبي ﷺ أن يتوبوا إلى الله - عز وجل -، وأن يرجعوا إلى كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ التي هي تفسير للقرآن، وبيان له، وليرجعوا إلى هديه - صلوات الله وسلامه عليه - الذي هو تطبيق لشريعة الله تماماً، وإلى هدي الصحابة، وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون؛ أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم.

أما هذه الطرق وهذه البدع المخالفة لدين الله فإنها ضلال، مهما اطمأن إليها قلب الإنسان، ومهما انشرح صدره بها، ومهما زينت له، فإن العمل السيئ قد يُزَيَّن للإنسان، كما قال الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنْ أَلَّهُ بُخْلٌ مِّنْ نِّشَاءٍ وَيَهْدَىٰ مِّنْ نِّشَاءٍ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [فاطر: ٨].

وقد ينشر الصدر للكفر، كما قال الله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَبْلَهُ مُطْمِئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: ١٠٦]. فلا يقولن أصحاب هذه البدع: إن صدورنا تنشرح بهذه البدع، وإن قلوبنا تطمئن. لأن هذا ليس بمقياس، ولكن المقياس كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وما كان عليه

النبي - عليه الصلاة والسلام - وخلفاؤه الراشدون، من الحق والهدى، ولهذا أمرنا النبي ﷺ أن نتبعه، وأن نتبع سنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده فقال: «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَظُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ»^(١). وأصحاب هذه البدع، سواء كانت في الطرق والمنهاج أم في العقيدة - إذا رجعوا إلى الحق سيجدون سرورًا للنفس، ونعيمًا للقلب، وسلوكًا جامعًا بين القيام بحق الله، وحق النفس، وحق العباد، أفضل مما هم عليه بكثير، وسيتبين لهم أن ما كانوا عليه من قبل شرًّا وضلالًا، ومحنة وعذاب.

(٥٨٢) يقول السائل: لقد زعم بعض الصوفية أن لأهل القبور كراماتٍ، واستدلوا بقوله تعالى في سورة الكهف: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ﴾ [الكهف: ٨٢]. الآية، وقالوا أيضًا: لولا أن أباهما كان صالحًا ما خرج الكنز، وعدّوا هذه من الكرامات له بعد موته. أرجو الشرح والتوضيح لإزالة الغموض، وكذلك رد دعوى الصوفية الباطلة التي أضلت العباد. ونحن في السودان نعيش في مجتمع تكثر فيه الشرّكيات والخرافات والبدع - نسأل الله الإنقاذ - وبرناجكم هذا له الدور العظيم في الإنقاذ، وكثير من الأسر اتجهت إليه.

فأجاب - رحمه الله تعالى -: هذا السؤال سؤال عظيم، وجوابه يحتاج إلى بسط بعون الله - عز وجل -، فنقول: إن أصحاب القبور ينقسمون إلى قسمين: ١ - قسم ثوَّفِي على الإسلام، ويُشْنِي الناس عليه خيرًا، فهذا يُرْجَى له الخير، ولكنه مفتقر لإخوانه المسلمين يدعون الله له بالمغفرة والرحمة، وهو داخل في عموم قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا

إِنَّكَ رَهُوْفٌ رَحِيْمٌ ﴿[الحشر: ١٠]﴾. وهو بنفسه لا ينفع أحداً؛ إذ إنه ميت جثة، لا يستطيع أن يدفع عن نفسه الضر ولا عن غيره، ولا أن يجلب لنفسه النفع ولا لغيره، فهو محتاج إلى نفع إخوانه غير نافع لهم.

٢- قسم أفعاله تؤدي إلى فسقه الفسق المخرج من الملة، كأولئك الذين يدعون أنهم أولياء، ويعلمون الغيب، ويشقون من المرض، ويجلبون الخير، والنفع بأسباب غير معلومة حساً ولا شرعاً، فهؤلاء الذين ماتوا على الكفر لا يجوز الدعاء لهم، ولا الترحم عليهم؛ لقول الله تعالى: ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانِ اسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿[التوبة: ١١٣-١١٤]﴾. وهم لا ينفعون أحداً ولا يضررونه، ولا يجوز لأحد أن يتعلق بهم، وإن قدر أن أحداً رأى كرامات لهم، مثل أن يترأى له أن في قبورهم نوراً، أو أنه يخرج منها رائحة طيبة، أو ما أشبه ذلك، ومعروفون أنهم ماتوا على الكفر، فإن هذا من خداع إبليس وغروره؛ ليفتن هؤلاء العباد بأصحاب هذه القبور.

وإنني أحذر إخواني المسلمين من أن يتعلقوا بأحد سوى الله - عز وجل -، فإنه - سبحانه وتعالى - هو الذي بيده ملكوت السماوات والأرض، وإليه يرجع الأمر كله، ولا يجيب دعوة المضطر إلا الله، ولا يكشف سوء إلا الله، قال الله: ﴿وَمَا يَكُم مِّنْ نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ تُمْ إِذَا مَسَّكُمُ الضَّرُّ فَأَلَيْتِهِ تَحْتَرُونَ ﴿[النحل: ٥٣]﴾.

ونصيحتي لهم أيضاً ألا يقلدوا في دينهم، ولا يتبعوا أحداً إلا رسول الله ﷺ؛ لقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴿[الأحزاب: ٢١]﴾. ولقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي

يُحِبُّكُمْ اللَّهُ ﴿[آل عمران: ٣١]﴾. ويجب على جميع المسلمين أن يزنوا أعمالَ مَنْ يدَّعي الولاية بما جاء في الكتاب والسُّنة، فإن وافق الكتاب والسنة فإنه يُرجى أن يكون من أولياء الله، وإن خالف الكتاب والسنة فليس من أولياء الله.

وقد ذكر الله تعالى في كتابه ميزانًا قسطًا عدلًا في معرفة أولياء الله؛ حيث قال: ﴿إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿١٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿[يونس: ٦٢-٦٣]﴾. فمن كان مؤمنًا تقياً كان لله ولياً، ومن لم يكن كذلك فليس بوليٍّ لله، وإن كان معه بعض الإيمان والتقوى كان فيه شيء من الولاية، ومع ذلك فإننا لا نجزم لشخص بعينه بشيء، ولكننا نقول على سبيل العموم: كل من كان مؤمنًا تقياً كان لله ولياً؛ لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿١٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿[يونس: ٦٢-٦٣]﴾.

وليعلم أن الله -عز وجل- قد يفتن الإنسان بشيء من مثل هذه الأمور؛ قد يتعلق الإنسان بالقبر، فيدعو صاحبه، أو يأخذ من ترابه يتبرك به، فيحصل مطلوبه، ويكون ذلك فتنة من الله -عز وجل- لهذا الرجل؛ لأننا نعلم بأن هذا القبر لا يُجيب الدعاء، وأن هذا التراب لا يكون سبباً لزوال ضرر، أو جلب نفع، نعلم ذلك لقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ﴾ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿[الأحقاف: ٥-٦]﴾، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النحل: ٢٠-٢١].

والآيات في هذا المعنى كثيرة، تدلُّ على أن كل من دُعي من دون الله فلن يستجيب الدعاء، ولن ينفع الداعي، ولكن قد يحصل المطلوب المدعو به عند دعاء غير الله فتنة وامتحاناً، ونقول: إنه حصل هذا الشيء عند الدعاء -أي: عند دعاء هذا الذي دُعي من دون الله- لا بدعائه، وفرق بين حصول الشيء

بالشيء وبين حصول الشيء عند الشيء؛ لأننا نعلم علم اليقين أن دعاء غير الله ليس سبباً في جلب النفع، أو دفع الضرر، في الآيات الكثيرة التي ذكرها الله - عز وجل - في كتابه، ولكن قد يحصل هذا الشيء عند هذا الدعاء فتنة وامتحاناً، والله تعالى قد يتلى إنساناً بأسباب المعصية ليعلم - سبحانه وتعالى - من كان عبداً لله ومن كان عبداً لهواه.

ألا ترى إلى أصحاب السبت من اليهود؛ حيث حَرَّمَ الله عليهم أن يصطادوا الحيتان في يوم السبت، فابتلاهم الله - عز وجل -، فكانت الحيتان تأتي يوم السبت بكثرة عظيمة، وفي غير يوم السبت تختفي، فطال عليهم الأمد، وقالوا: كيف نحرم أنفسنا هذه الحيتان؟ ثم فكروا وقَدَّروا، ونظروا فقالوا: نجعل شبكة نضعها في يوم الجمعة، ونأخذ الحيتان منها يوم الأحد. فأقدموا على هذا الفعل، الذي هو حيلة على محارم الله، فقلبهم الله تعالى قردة خاسئين، قال الله تعالى: ﴿وَسَأَلْتُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسِيْبُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٣]، وقال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ (٦٥) فَعَلَّانَهَا نَكْلًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿[البقرة: ٦٥-٦٦].

فانظر كيف يسر الله لهم هذه الأسباب، أو كيف يسر الله لهم هذه الحيتان في اليوم الذي منعوا من صيدها، ولكنهم - والعياذ بالله - لم يصبروا، فقاموا بهذه الحيلة على محارم الله. فلننظر لما حصل لأصحاب النبي ﷺ، حيث ابتلاهم الله تعالى وهم محرمون بالصيد المحرم على المحرم، فكانت في متناول أيديهم، ولكنهم ﷺ لم يجروا على شيء منها، فقال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَبْلُوكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٤].

كان الصيد العادي والطائر في متناول أيديهم؛ يمسون الصيد العادي باليد، وينالون الصيد الطائر بالرمح، فيسهل عليهم جدًّا، ولكنهم ﷺ خافوا الله - عز وجل - فلم يُقدِّموا على أخذ شيء من الصيد، وهكذا يجب على المرء إذا هيأ الله له أسباب الفعل المحرم أن يتقي الله - عز وجل -، وألا يُقدم على هذا الفعل المحرَّم، وأن يعلم أن تيسير الله له أسبابه من باب الابتلاء والامتحان، فليحجم وليصبر، فإن العاقبة للمتقين.

(٥٨٢) يقول السائل: يقول الصوفية في زعمهم: إن الأولياء تنكشف عنهم الحجب، ويتلقَّون علمًا مباشرًا من الله. يسمونه العلم اللدني، وعندما عارضناهم استشهدوا بما رآه عمر بن الخطاب ﷺ وهو على المنبر من بعض سراياه، وهم في ميدان القتال، وحذرهم من الجبل الذي كان خلفهم، وأن العلم الإلهي الذي يأتيهم هو بما يختصُّ الله بعض عباده به؟

فأجاب - رحمه الله تعالى -: نقول: كل إنسان يدَّعي علم الغيب فإنه كافر، وكل إنسان يصدقه في ذلك فإنه كافر؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥]. وغيب الله - تبارك وتعالى - لم يُطلع عليه أحدًا إلا من ارتضى من رسول، كما قال الله تعالى: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ (٦٦) إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ ﴿[الجن: ٢٦-٢٧]، وهؤلاء الأولياء الذين يزعمون ليسوا برُّسل، وليسوا أيضًا بأولياء الله ما داموا يدعون ما يكون فيه تكذيب للقرآن؛ لأن ولي الله هو من جمع الوصفين اللذين ذكرهما الله في قوله: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٦٦) الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿[يونس: ٦٢-٦٣].

فهؤلاء الذين يسمونهم أولياء إذا ادعوا علم الغيب فليسوا بأولياء، بل هم أعداء الله؛ لأنهم مُكذِّبون له، ولما ثبت من شريعة رسوله محمد ﷺ وأما

احتجاجهم بما أكرم الله به أمير المؤمنين عليه السلام فهذه ليست من أمور الغيب؛ لأن هذا أمرٌ محسوس مشاهد، لكنه بعيدٌ عن مكان عمر، فكشفه الله له، فليس هذا من باب علم الغيب، لكنه من باب الأمور التي يُطْلَع الله عليها من يشاء، وهي أمورٌ واقعة.

ثم إن أمير المؤمنين عليه السلام لا شك أنه من أولياء الله؛ لاجتماع الوصفين فيه: الإيمان والتقوى، لكن هؤلاء الأولياء الذين يدعون الولاية، وهم منها براء، هؤلاء لا يُصدِّقون، ثم إن قُدِّر أنهم أخبروا بخبر، ووقع الأمر كما أخبروا به، فإنما هم من إخوان الكُفَّان، إن لم يكونوا كُفَّانًا تنزل عليهم الشياطين، فيخبرونهم بالخبر، ويكذبون معه ما شاءوا من الكذبات.

(٥٨٤) يقول السائل ع. ع. ب. م. من السودان وهو تاجر بالسوق: أولاً مسألة الطرق وكثرة مشايخها، بما يجعل الإنسان يعيش في حيرة من أمره، فهل لهذه الطرق داع؟ أو أن الإنسان إذا كان على مذهبٍ من المذاهب الأربعة لا يلزمه الاهتمام بهذه الطرق؟

فأجاب - رحمه الله تعالى -: نحن نحمد الله تعالى أننا لا نعيش مع هذه الطرق ومشايخها، ونسأل الله تعالى لنا ولإخواننا المسلمين الثبات على الحق. أما فيما يتعلق بسؤال الأخ؛ فإني أتلو عليه آية من القرآن تبين صحة هذه الطرق أو بطلانها، يقول الله - تبارك وتعالى -: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٣]. صراطٌ واحد؛ ﴿صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، والسبل جمع سبيل، بمعنى: طريق، والمراد بها: كل ما خالف طريق الله - عز وجل - فإنه طريقٌ منهيٌّ عنه داخلٌ في عموم قوله: السبل، ثم قال: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُضِلَّهُ لَزُلَّةٍ يَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

فهذه الطرق التي يشير إليها السائل يجب أن تُعرض على كتاب الله،

وسنة رسوله ﷺ، وهَدْيِ خلفائه الراشدين، فإن وافقتها فهي حق، وإن خالفتها فهي باطلٌ يجب ردها، مهما كان الشيخ الذي يقول بها، ومهما كانت شعبيته، ومهما كان أتباعه، ولا تغترُّ أيها السائل بكثرة التابعين لهؤلاء المشايخ؛ لأن الله يقول: ﴿وَلَنْ تَطْعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ [الأنعام: ١١٦].

وقولك: إنه يلزم واحدًا من المذاهب الأربعة، الحقيقة أن الإسلام مذهبٌ واحد، وأن هذه المذاهب الأربعة التي ائتمَّ بها من ائتمَّ من الناس هي عبارة عن أقوال مجتهدين، يتحرَّون بذلك كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وليست طرقًا مستقلةً عن الدين الإسلامي؛ إذ لو كانت كذلك لم يكن بينها وبين أصحاب الطرق الذين ذكَّرت عنهم فرق، ولكنهم يتحرَّون موافقة الكتاب والسنة، ويدعون إلى اتباع الكتاب والسنة، وإن خالف ذلك أقوالهم، فيجب عليك -إذا أردت النصح لنفسك واستقامة دينك- أن تبحث عن سنة النبي ﷺ وخلفائه الراشدين الذين أمر النبي ﷺ باتباعهم حيث قال: «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ»^(١). وأن تقيس ما عليه هؤلاء المشايخ وما عليه غيرهم، أيضًا تقيسه بكتاب الله، وسنة الرسول ﷺ وخلفائه الراشدين.

(٥٨٥) يقول السائل: أنا أسلك طريقة صوفية، ولا أعتقد في الشيخ أي اعتقاد يخالف الشريعة، وكل الأمر أنني أرى في الشيخ أستاذًا يَهْدِي لطريق الشرع اتفاقًا مع الشريعة الغراء فقط، ولكنه يُنظِّم أذكاريًا شرعية فيها الخير، ولا يقول بغير ما جاءت به السنة، أو جاء به الكتاب. فما رأيكم في اتباعها؟
فأجاب -رحمه الله تعالى-: رَأَيْنَا أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَجْعَلَ مَتَبُوعَهُ

رسول الله ﷺ قبل كل شيء؛ لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]. فإذا كان هذا هو الهدف، وهو الأصل، عند هذا الرجل، وكان لا يستطيع أن يصل إلى الحق بنفسه، لقصور علمه أو فهمه، واعتمد على شخص يدلّه على الشرع وعلى الخير، فإن ذلك لا بأس به، ولكن من غير أن يكون هذا الشخص متميماً إلى طريقة معينة من الطرق، بل يكون متميماً إلى مذهب السلف، وما دل عليه كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ.

والأذكار المنظّمة التي ينظمها بعض العباد، هذه الأذكار إن كانت مما ورد على هذا الوجه الذي يفعلونه المنظم لها رسول الله ﷺ وليس هؤلاء، وإن كانت على خلاف ما ورد فإنها بدعة، وإن كان أصل الذكر مشروعاً، لكن تنظيمه على وجه معين يعتبر من البدع.

ولذلك نقول: إن العبادة تفتقر إلى دليل في سببها، وفي جنسها، وفي نوعها، وفي قدرها، وفي وقتها، وفي مكانها. فلا بد من أن تكون العبادة التي يفعلها العبد مطابقة للشرع في هذه الأمور:

١. أن يكون سببها معلوماً بالشرع.
٢. وأن يكون جنسها معلوماً بالشرع.
٣. وأن يكون نوعها معلوماً بالشرع.
٤. وأن يكون قدرها معلوماً بالشرع.
٥. وأن يكون زمانها معلوماً بالشرع.
٦. وأن يكون مكانها معلوماً بالشرع.

فإذا اختلفت هذه الأمور الستة فإن العبادة يكون فيها بدعة حسب ما خرجت به عن السنة.

فعليك -يا أخي- باتباع السلف الصالح، والحرص على منهاجهم، ودع

الطرق التي أحدثت، فإن رسول الله ﷺ يقول: «وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ»^(١).

(٥٨٦) يقول السائل ن. ع. س. من العراق من محافظة الأنبار: أهدي أجمل تحياتي واحترامي إلى برنامجكم الموقر، الذي أفادنا، وأفاد المسلمين كافة من إفتاء المعلومات الدينية والاجتماعية، وعلى هذا الأساس أرسلت رسالتي هذه وفيها بعض الأسئلة، أرجو عرضها على أصحاب الفضيلة والعلماء لديكم، وأرجو الإجابة منهم مع الشكر. أنا شخصٌ أنعم الله عليه بالهداية وسلكت الطريق الصحيح للإسلام، وطبقت جميع الشروط من صلاة وصوم... إلخ. والتزمت أكثر من اللازم؛ حيث التجأت إلى أحد الشيوخ الصوفية، وأصبحت تلميذاً من تلاميذه، حيث أمرني بالحضور لحلقة الذكر يومي الاثنين والخميس من كل أسبوع، وأن أصلي وأسلم على الرسول ﷺ ألف مرة يومياً، وتسابع أخرى. فأرجو إرشادي في هذه الطريقة الصوفية؛ هل صحيحة في الشريعة الإسلامية وتعاليمها أم غير صحيحة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نقول: اعلم أن الطرق؛ صوفية كانت، أم غير صوفية، يجب أن تُعرض على كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، فما كان موافقاً لهما فهو حق، وما كان مخالفاً فهو باطل.

والغالب في الطرق الصوفية أنها طرقٌ مُبتدعة، وربما يصل بعضها إلى الكفر، وبعضها دون ذلك، ومن هذا الابتداع ما ذكرت عن شيخك أنه كان يأمرُك بأن تُصلي على النبي ﷺ كل يوم ألف صلاة، وتسابع أخرى، فهذه التسابيح الأخرى التي ذكرت لا ندري ما هي حتى نحكم بأنها حق أم باطل. وأما الأمر بأن يُصلي على النبي ﷺ كل يوم ألف صلاة فهذا بلا شك بدعة لا أصل له في سنة النبي ﷺ.

والذي أنصحك به أن تطلب عالماً من علماء السنة المعروفين باتباع السلف الصالح، وتأخذ دينك منه، وتدع الطرق التي تشير إليها من صوفية أو غيرها.

(٥٨٧) يقول السائل أبو حذيفة من مكة المكرمة: نرى كثيراً من علماء السوء والضلال، الذين لا همّ لهم سوى أكل أموال الناس بالباطل، وهم الذين أوقعوا الناس في الشرك، يلبسون العمام الخضر، ويتسمون بسمات أهل الصلاح، ولكنهم لا يُصلُّون، وإذا سُئلوا: لماذا لا تصلون؟ يقولون: نحن نصل في المسجد الحرام بمكة. ويأتي من المريدين من أتباعهم فيزكونهم، ويقولون: إنكم لا ترونه عندما يذهب إلى مكة؛ لأنه من أهل الخطوة، ولأن بينكم وبينه حجاباً فلا ترونه. وإذا سُئلوا عن الصيام قالوا: هذا من فضل الله علينا، فنحن لسنا بحاجة إلى الصيام؛ لأننا من أصحاب الأموال، والصيام هو للفقراء الذين لا يملكون المال. وإذا سُئلوا عن الحج قالوا: هذا أيضاً من فضل الله. ويعتذرون ويقولون: إن مكة بلد حارة، وكلها جبال، ولا يوجد أشجار أو ظلال. وفي المقابل نرى البعض من الناس ممن يتبعون لهم عندما يؤدون العمرة أو الحج، نراهم يطوفون لهم، ويدعون لهم، ويؤدون الصلاة لهم، في كل جزء من المسجد الحرام. فما حكم فعل هؤلاء؟ وما حكم تصديقهم فيما يقولون؟ وهل أعمالهم مقبولة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: قبل الجواب على هذا السؤال أحب أن أوجه نصيحة إلى أولئك الشيوخ الذين وصفهم هذا السائل بما وصفهم به، أقول: أيها الشيوخ إن الواجب عليكم التوبة إلى الله -عز وجل-، والرجوع عما أنتم عليه مما وصف فيكم، وأن تلتزموا طريق النبي ﷺ وأصحابه، وأن تقوموا بما أمركم الله به من العبادات الظاهرة والباطنة، حتى تكونوا أئمة هدى وصلاح وإصلاح.

وأما بقاؤكم على ما أنتم عليه، مما وصف السائل، فهو خسارة لكم في دينكم ودنياكم، وهو ضلال وكفر بالله - عز وجل -، ولا تغرنكم الحياة الدنيا، ولا يغرنكم بالله الغرور، لا يغركم أن السُّدَج من الخلق يأتون إليكم يُقَبِّلون أيديكم وأرجلكم، ويتمسحون بثيابكم وعمائمكم، إن هذا غرور من الشيطان: يبعث إليكم هؤلاء السدج من أجل أن تستمروا ما أنتم عليه، وتستمروا على هذه الطريقة الباطلة، فاتقوا الله في أنفسكم، واتقوا الله في عباد الله، واخشوا يومًا لا يجزي والد عن ولده، ولا مولود هو جاز عن والده شيئًا.

واعلموا أن من دعا إلى ضلالة كان عليه إثم هذه الدعوة، وإثم من عمل بها إلى يوم القيامة، وباب التوبة مفتوح، إن عليكم أن ترجعوا إلى الله، وأن تبينوا أن طريقتكم الأولى، التي أنتم عليها طريقة ضلال، وأنكم خاطئون فيها، ولكنكم تتوبون إلى الله تعالى منها.

أما بالنسبة لما ذكره السائل من أحوالهم؛ فإن إنكارهم الصوم، وقولهم: إن الصوم إنما يجب على الفقراء، هذا كفر وردة، كفر وردة عن الإسلام؛ لأن الصوم واجب على كل مكلف: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لِمَكُمْ تَنْقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]. فمن أنكر وجوب الصيام على الأغنياء، وقال: إنه واجب على الفقراء فقط. فقد كفر بالقرآن، وكفر بالسنة، وكذب إجماع المسلمين، وهو كافر بلا شك.

وكذلك من استكبر عن الحج، وقال: إن مكة حارة، وفيها جبال، وليس فيها أشجار. فإنه كافر مستكبر عن عبادة الله - عز وجل -؛ لأنه كره ما أنزل الله بهذا من فريضة الحج على عباده، وتعليه هذا كالمستهزئ بشريعة الله - سبحانه وتعالى -، والله - عز وجل - فرض الحج على عباده على المستطيع منهم، وهو يعلم حال هذه البلاد التي فرض الحج إليها، كما قال الله عن إبراهيم خليله: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ

الْمَحْرَمَ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ [إبراهيم: ٣٧].

والمغرور بهؤلاء الشيوخ، الذين هذه صفتهم، والذين هم يصدون عن الإسلام، المغرور بهم مخدوع، فلا يجوز لأحد أن يدعو الله لهم إلا بالهداية، وأما أن يحج لهم، أو يعتمر لهم، أو يأخذ بقولهم، ويصدقهم فيما يقولون، ويتبعهم فيما إليه يذهبون، فإنه كافر؛ لأن كل من صدق أن الصوم لا يجب إلا على الفقراء فقط، أو أن تكليف الناس الحج تكليف لهم بها لا يطاق؛ لأن مكة جبال وحارة، فإنه يعتبر كافراً؛ لاعتراضه على حكم الله وحكمته، وإنكاره ما فرض الله تعالى على عباده من الصوم، إلا أن يكون جاهلاً لا يعرف، وإنما سقط في أحضان هؤلاء وضلوه، ولم يهتدوا له من يقول له: إن هذا كذب وباطل. فهذا ينظر في أمره.

وأما مَنْ صدَّقهم، وهو يعرف ما المسلمون عليه، فإنه يكون كافراً بتصدقهم؛ لأنه صدَّقهم في إنكارهم فرض الصيام، كذلك زعمهم -أي: زعم هؤلاء الشيوخ، إذا أمروا بالصلاة- أنهم يصلون في المسجد الحرام، زعم كاذب باطل، فكيف يصلي في المسجد الحرام من كان في إفريقيا، أو شرق آسيا، أو ما أشبه ذلك؟

هذا أمر لا يمكن، ولكنهم يَغُرُّون العامة بمثل هذه الكلمات، فهم لا يصلون في المسجد الحرام، وإنما يريدون التملُّص والتخلُّص من الاعتراض عليهم. وعلى كل حال فإني أُحذِّر إخواني المسلمين من الاغترار بأمثال هؤلاء، وأدعوهم إلى نبذ هؤلاء، وإلى البعد عنهم، ولكن لا يمنع ذلك من مناصحتهم، والكتابة إليهم، لعلهم يرجعون إلى الحق.

(٥٨٨) يقول السائل ص. أ. من سوريا من دمشق: إنني أقوم بتدريس مجموعة من الناس الفقه الحنفي والتصوف، ونقوم بممارسة الذكر الحضرة،

ودليلنا على هذا هو أن النبي -صلوات الله وسلامه عليه- عندما هاجر إلى المدينة المنورة استقبله الناس بالإنشاد وضرب الدفوف، فأقرهم على ذلك، ولم ينكر عليهم. وكذلك ورد في القرآن قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ﴾ [آل عمران: ٢٦]. وكذلك فإنني أعلم تلامذتي ضرورة طاعة الشيخ ومحبته، وعدم الاتجاه إلى شيخ غيره، عملاً بقول النبي ﷺ: «من لا شيخ له فشيخه الشيطان»^(١). ولكن أحد تلامذتي قد أخذ يجادلني مؤخراً في هذه الأمور. وينكر علي ذلك، بحجة أنها بدع، وأنها تخالف هدي النبي -عليه الصلاة والسلام-، فقد أصبحت في حيرة من أمري، ولما سألت عن تصرفاته تلك قيل لي: إن الشاب الذي يجادلني متأثر بالوهابية، وقالوا بأن هذه الفكرة الوهابية بدعة تدعو إلى التطرف، وتحرم المدائح النبوية والمولد، وتقول عن كثير من الأمور المستحسنة: إنها من البدع. فقد أشكل علي الأمر، أرجو إرشادكم وتوضيح هذه الحقيقة لي.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: فإن هذا السؤال سؤال عظيم، اشتمل على

مسائل في أصول الدين، ومسائل تأريخية، ومسائل عملية.

أما المسائل العملية: فإنه ذكر أنه يُفقه تلامذته على مذهب الإمام أبي حنيفة، ولا ريب أن مذهب الإمام أبي حنيفة رحمهم الله أحد المذاهب الأربعة المتبوعة المشهورة، ولكن ليعلم أن هذه المذاهب الأربعة لا ينحصر الحق فيها، بل الحق قد يكون في غيرها، فإن إجماعهم على حكم مسألة من المسائل ليس إجماعاً للأمة، والأئمة أنفسهم -رحمهم الله- ما جعلهم الله تعالى أئمة لعباده إلا حيث كانوا أهلاً للإمامة؛ حيث عرفوا قدر أنفسهم، وعلموا أنه لا طاعة لهم، إلا فيما كان موافقاً لطاعة النبي ﷺ، وكانوا يحذرون عن تقليدهم، إلا فيما وافق السنة سنة رسول الله ﷺ.

ولا ريب أن مذهب الإمام أبي حنيفة، ومذهب الإمام أحمد، ومذهب

الإمام الشافعي، ومذهب الإمام مالك -رحمهم الله- وغيرهم من أهل العلم، أنها قابلة لأن تكون خطأً أو صواباً، فإن كل أحد يؤخذ من قوله، ويترك إلا رسول الله ﷺ. وعلى هذا فإنه لا حرج عليه أن يفقه تلامذته على مذهب الإمام أبي حنيفة، بشرط إذا تبين له الدليل في خلافه تبع الدليل وتركه، ووضح لطلبته أن هذا هو الحق، وأن هذا هو الواجب عليهم.

أما مسألة الصوفية: وغنائهم ومدحهم، وضربهم بالدف والغبراء، -الغبراء: التي يضربون الفراش ونحوه بالسوط، فما كان أكثر غباراً فهو أشد صدقاً في الطلب- وما أشبه ذلك مما يفعلونه؛ فإن هذا من البدع المحرمة، التي يجب عليه أن يقلع عنها، وينهى أصحابه عنها؛ وذلك لأن خير القرون، وهم القرن الذين بُعث فيهم الرسول -عليه الصلاة والسلام- لم يتعبدوا لله بهذا التعبد، ولأن هذا التعبد لا يُورث القلب إنابةً إلى الله، ولا انكساراً لديه، ولا خشوعاً لديه، وإنما يورثه انفعالات نفسية يتأثر بها الإنسان من مثل هذا العمل؛ كالصراخ وعدم الانضباط والحركة الثائرة، وما أشبه ذلك.

وكل هذا يدل على أن هذا التعبد باطل، وأنه ليس بنافع للعبد، وهو دليل واقعي، غير الدليل الأثري، الذي قال فيه الرسول -عليه الصلاة والسلام-: «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَظُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ»^(١).

فهذا من الضلال المبين، الذي يجب على المرء أن يقلع عنه، وأن يتوب إلى الله، وأن يرجع إلى ما كان عليه النبي -عليه الصلاة والسلام- وخلفاؤه الراشدون، فإن هَديهم أكمل هَدي، وطريقهم أحسن طريق، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]. ولا يكون العمل صالحاً إلا بأمرين: الإخلاص لله، والموافقة لرسوله ﷺ.

وأما استدلاله باستقبال أهل المدينة رسول الله ﷺ بالدف والأناشيد، فهذا إن صح فإنهم ما اتخذوا ذلك عبادة، وإنما اتخذوا ذلك فرحاً بمقدم الرسول ﷺ، وليس من هذا الباب في شيء.

وأما ما ذكره من مجادلة الطالب له، وقول بعضهم: إنه رجلٌ وهابي، وإن الوهابية لا يُقرُّون المدائح النبوية، وما إلى ذلك، فإننا نخبره وغيره بأن الوهابية - والله الحمد - كانوا من أشد الناس تمسكاً بكتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، ومن أشد الناس تعظيماً لرسول الله ﷺ واتباعاً لسنته، ويدلُّك على هذا أنهم كانوا حريصين دائماً على اتباع سنة الرسول - عليه الصلاة والسلام - والتقيد بها، وإنكار ما خالفها من عقيدة أو عمل قوليٍّ، أو فعليٍّ، ويدلُّك على هذا أنهم جعلوا الصلاة على النبي ﷺ ركناً من أركان الصلاة لا تصح الصلاة إلا بها، فهل بعد هذا من شكٍّ لتعظيمهم رسول الله ﷺ؟ وهم أيضاً إنما قالوا بأنها ركن من أركان الصلاة؛ لأن ذلك هو مقتضى الدليل عندهم، فهم مُتبعون للدليل، لا يغفلون بالنبي - عليه الصلاة والسلام - في أمرٍ لم يشرعه الله ورسوله.

ثم إن حقيقة الأمر أن إنكارهم للمدائح النبوية المشتملة على الغلو في رسول الله ﷺ، حقيقة الأمر أن هذا هو التعظيم لرسول الله - عليه الصلاة والسلام -، وهو سلوك الأدب بين يدي الله ورسوله؛ حيث لم يقدموا بين يدي الله ورسوله، فلم يغفلوا لأن الله نهاهم عن ذلك، فقال النبي - عليه الصلاة والسلام -: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا بِقَوْلِكُمْ وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ»^(١). وهو عليه الصلاة والسلام نهى عن الغلو فيه، كما غلت النصارى في المسيح ابن مريم، نعم قال: «لَا تُظْرُونِي، كَمَا أَطْرَثَ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ»^(٢).

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

والمهم أن طريق الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمته الله وأتباعه - وهو الإمام المجدد - طريقته هي ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه لمن تتبعها بعلم وإنصاف، وأما من قال بجهل أو بظلم وجور فإنه لا يمكن أن يكون لأقواله منتهى، فإن الجائر أو الجاهل يقول كل ما يمكنه أن يقول من حق وباطل، ولا انضباط لقوله، وإذا لم تستح فاصنع ما شئت، ومن أراد أن يعرف الحق في هذا فليقرأ ما كتبه الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمته الله وأحفاده والعلماء، حتى يتبين له الحق إذا كان منصفاً ومريداً للحق.

ثم إن المدائح النبوية التي يُشير إليها الأخ مدائح لا شك أن رسول الله - عليه الصلاة والسلام - لا يرضى بها، بل إنما جاء بالنهي عنها والتحذير منها، فمن المدائح التي يحرصون عليها، ويتغنون بها، ما قاله الشاعر:

يا أكرم الخلق ما لي من ألوفه سواك عند حدوث الحادث العمم
فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم
وأشبه ذلك مما هو معلوم، ومثل هذا - بلا شك - كفر بالرسول صلى الله عليه وسلم، وإشراك بالله - عز وجل -، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر، لا يعلم من الغيب إلا ما أعلمه الله - عز وجل -، والدنيا وضرتها - وهي الآخرة - ليست من جود رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل هي من خلق الله - عز وجل -، هو الذي خلق الدنيا والآخرة، وهو الذي جاد فيهما بما جاد على عباده - سبحانه وتعالى -، وكذلك علم اللوح والقلم ليس من علوم الرسول - عليه الصلاة والسلام -، بل إن علم اللوح والقلم إلى الله - عز وجل -، ولا يعلم منه رسول الله - عليه الصلاة والسلام - إلا ما أطلعه الله عليه.

هذا هو حقيقة الأمر، وهذا وأمثاله هي المدائح التي يتغنّى بها هؤلاء الذين يدعون أنهم معظّمون لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن العجائب أن هؤلاء الذين يدعون أنهم معظّمون لرسول الله - عليه الصلاة والسلام - تجدهم معظّمين له كما زعموا في مثل هذه الأمور، وهم في كثير من سنته فاترون معرضون، والعياذ بالله.

فأنصح هذا الأخ، الذي يسأل هذا السؤال، بأن يعود إلى الله - عز وجل -، وأن لا يُطري رسول الله ﷺ كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، وأن يعلم أن رسول الله ﷺ بشر يمتاز عن غيره بالوحي الذي أوحاه الله إليه، وبما خصّه الله به من المناقب الحميدة، والأخلاق العالية، ولكنه ليس له من المتصرف في الكون شيء، وإنما المتصرف في الكون، الذي يُدعى ويرجى ويُؤله، هو الله - عز وجل - وحده لا إله إلا هو، سبحانه عما يشركون.

(٥٨٩) يقول السائل ع. ع. م. وهو مصري يعمل بالعراق: ومن خلال متابعتي الدائمة لبرنامجكم الكريم، وخلال إجابة الأسئلة الخاصة بالتصوف، سمعت إجابات مختلفة من أساتذة أفاضل، وقد أجمعوا تقريباً على ذم هذا الأمر بدون استثناء، وإني لأعجب أشد العجب من ذلك؛ لأن في اعتقادي - والله أعلم - أن الأحكام في ديننا العظيم لا تأتي على التعميم في أمور الدين، فمثلاً إذا كان هناك شخصٌ سوء في مكان ما لا يمكن أن أحكم على جميع من فيه بأنهم أشرار، فعندما نحكم على التصوف بأنه سيئ هل معنى ذلك أن التصوف - بوصفه مبدأ - سيئ؟ أم هناك من يدعي الصوفية، وهو ليس من أهلها؟ وإذا كان التصوف كذلك فماذا نقول عن أئمة التصوف، الذين أفادونا في الدين أعظم إفادة من خلال علمهم وعملهم؛ أمثال: الإمام الغزالي، وكذلك ابن عطاء الله، وعبد القادر الجيلاني، والشيخ السنوسي، وزواياهم معروفة، وفي العصر الحديث الدكتور عبد الحليم محمود رحمه الله. وماذا يقول الدين عن التصوف في أبسط معانيه التي نفهمها، وهو يتمثل في الزهد في الدنيا، مع عدم ترك ما أحل الله لعباده، وإخلاص العمل والنية لله تعالى، وذكره كثيراً واستغفاره وحمده، مع نبذ كل ما يلتصق بالدين والتصوف من خرافات وبدع وأشياء تؤدي إلى الكفر، أعوذ بالله من ذلك؟

فأجاب - رحمه الله تعالى -: هذا السؤال مطول متداخل، وفيه شيء يحتاج إلى تصنيف:

فالذين سمعهم يذمون التصوف ويطلقون إنما يريدون أن إثبات طريقة على نحو معين تنفرد عن طريقة أهل السنة والجماعة، هذا من حيث هو مذموم بلا شك، فالذي ينبغي لجميع المسلمين أن يكونوا طائفة واحدة؛ ألا وهي طائفة السلف الصالح، أهل السنة والجماعة، سواء كان ذلك في العقيدة، أم كان ذلك في الأعمال الظاهرة؛ وهي أعمال الجوارح، فالذي يُذَمُّ مطلقاً أن تحدث طريقة معينة يقال لها: هذه طريقة القوم؛ إذ إن كل طريق، أو كل طريقة، تخالف ما كان عليه النبي ﷺ فإنها مذمومة مهما كانت.

أما بالنسبة للأعمال التي تحدثها هذه الطائفة فإنه ينظر فيها؛ فإن وافقت ما جاء به النبي -عليه الصلاة والسلام- فهي حق، لكن لا ينبغي أن يقال: إنها من طريق الصوفية، أو من صنع الصوفية، أو من تنظيم الصوفية، أو ما أشبه ذلك، بل يقال: هذه سنة الرسول ﷺ ولا تنسب إلى هذه الطائفة بعينها، وحينئذ يخرج من اللقب الذي قد يوجب الذم.

وأما ما يتعلق بالزهد في الدنيا؛ فلا ريب أن الزهد بالدنيا الذي لا يتضمن ترك ما أحل الله -عز وجل-، أو لا يتضمن ترك ما ينفع في الآخرة، لا ريب أنه محمود، وأن الإنسان ينبغي له أن تكون الدنيا وسيلة إلى الآخرة، لا يكون كل همه وقصده بالدنيا، والإنسان إذا أراد الدنيا فقط فإنه قد يضيع الدنيا والآخرة؛ لقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ۝١٨ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٨-١٩].

وأما الأذكار والأوراد التي أحدثها أهل التصوف؛ فلا شك أن ما خالف الشرع منها بكيفيته، أو وقته، أو عدده، أو سببه، فإنه بدعة يُنكَرُ على صاحبه؛ لأنه لا تكون العبادة عبادة حتى يقوم دليل شرعي على الأمور التالية: على سببها، وجنسها، ونوعها، وهيئتها، وزمانها، ومكانها، وقدرها. فإذا لم يكن دليل على هذه الأمور فإنها تكون بدعة، ويكون فيها من البدع أو من البدعية بحسب ما فارقت السنة فيه.

(٥٩٠) يقول السائل الخليفة مهدي عبد الستار من العراق من محافظة

صلاح الدين: إني مهدي عبد الستار أحد خلفاء الطريقة الرفاعية، سؤالي حول موضوع الطرائق الصوفية: إني سمعت من فضيلة العلماء أنهم يشكون في الطرائق في برنامجكم هذا، ويقول بعض العلماء: إن الطريقة بدعة، حيث إنها لم ترد عن رسول الله ﷺ، حيث إني أخذت الطريقة عن شيخي، وإن شيخي أخذ الطريقة عن أبيه، وأخذها أبوه عن جده، وهكذا إلى سيدنا الكبير سيد أحمد الرفاعي. أما السيد أحمد الرفاعي فهو ابن السيد سلطان بن علي، وستة أظهر ينتسب إلى سيدنا الحسين بن علي بن أبي طالب، وهو الذي له الطريقة الرفاعية وتُنسب إليه، وهو الذي أسس ضرب الحراب والسيوف، والدخول في النار، وعمل الرفاعي، فكيف تنكرون هذا، وقد قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ﴾ [البقرة: ١٠٥]. وقد خصَّ الله سيد أحمد الرفاعي بالكرامات والشواهد التي جاءت بها الكتب الصوفية، مثل قوله أمام حضرة الرسول ﷺ: يا مصطفى أنت من أسرار منزلها إلى آخره... فمد يدك، أو فمد يمينك، لأقبلها لكي تحظى بها شفتي. وظهرت يد الرسول فقبلها سيد أحمد الرفاعي، هل هذا حق؟ أفتونا فيها وشكراً لكم.

فأجاب - رحمه الله تعالى -: هذه المسألة مسألة عظيمة، وهي مسألة الطرق التي ابتدعها من ابتدعها بواسطة الدعاية له، إما من جهة النسب، ودعواه أنه يتصل بنسب شريف، وإما من جهة ما يدعيه من الكرامات التي اختصه الله بها، فيلبس بذلك على عامة الناس، ويبتدع في دين الله تعالى ما ليس منه.

ونحن نذكر جملة عامة أمام الطريقة الرفاعية وغيرها، فنقول: إن الله - تبارك وتعالى - جعل المشرّعين في دين الله تعالى ما ليس منه، جعلهم بمنزلة الأصنام اللاتي تتخذ من دون الله تعالى شركاء، فقال: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١]. واليهود والنصارى

اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله؛ لأنهم تابعوهم في تشريع ما يخالف شريعة الله - سبحانه وتعالى -، ورسول الله ﷺ حذر من البدع تحذيراً بالغاً، حتى إنه في خطبة الجمعة يحذر منها ويقول: «وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»^(١).

وهذه الطرق التي يبتدعها أهلها ليتقربوا بها إلى الله، ولم تكن في سنة النبي ﷺ، نقول عنها: إنها بدع محرمة، وإنها لا تزيدهم من الله إلا بعداً، وإن ما يدعونه من نَسْضٍ شريف، أو من كرامات يختصهم الله بها، فإنه لا أساس لها من الصحة، ما داموا مخالفين في ذلك لشريعة النبي ﷺ، فإن الكرامات لا تكون إلا لأولياء الله - سبحانه وتعالى -، وأولياء الله - تبارك وتعالى - بينهم الله سبحانه في كتابه في قوله: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿[يونس: ٦٢-٦٣].

فنحن نعرض حال هذا الرجل الذي يدعي الكرامات، نعرضها على كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، فإن كان مؤمناً تقياً كان لله ولياً، ومن أعظم التقوى أن يتقي الإنسان البدعة في دين الله؛ بأن يشرع في دين الله ما ليس منه، فإذا عُلِمَ أن الرفاعي، أو غيره من زعماء البدع، ابتدعوا طريقة ليس عليها رسول الله ﷺ ولا خلفاؤه الراشدون، عُلِمَ أنها طريقة بدعية ضالة، وأنه لا يجوز التمسك بها، وأن ما يدعون من كرامات فليست بكرامات في الحقيقة، وإنما هي أشياء يُموِّهون بها على العامة يتخذونها بطرق حسية، لا بطرق إلهية غيبية، ويدعون أنها الكرامات، فالدخول في النار مثلاً هناك أشياء يستعملها الإنسان، فيُدْهَن بها، ويدخل بها النار، ولا يحترق، فيأتي هذا الرجل الذي يدعي أنه ولي، وأنه يدخل في النار ولا تضره، كما دخل إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - النار ألقى فيها، ولم تضره، يُدْهَن بهذه الأشياء المضادة للاحتراق،

(١) تقدم تخرجه.

لكنه لا يُدَهَّن بها أمام هذه العوام، بل يُدَهَّن بها خفية، ثم يأتي أمام الناس، ويدخل في النار، ويزعم أنه ولي لم يحترق بالنار، إلى غير ذلك مما يفعله المشعوذون.

فإذا قال هذا الرجل: إن ما حصل هو كرامة من الله - عز وجل -، فإنما يجب أن ننظر حاله؛ إن كان مؤمناً تقيّاً فإن ما ادعاه من الكرامات قد يكون حقاً، وإن كان ليس بمؤمن تقي، بل هو صاحب بدعة وخرافة، وتشريعات لم يأذن بها الله - عز وجل - علمنا أنه كاذب، وأنه ليس من أولياء الله، بل هو من أبعد الناس عن ولاية الله - سبحانه وتعالى -.

هذه جملة عامة أزفها للرفاعية ولغيرهم من أهل البدع، وإنني أناشدهم الله - عز وجل - أن يرجعوا إلى دين النبي ﷺ وإلى شريعته، وأن يعلموا أن دين الله تعالى كامل، وأن الله تعالى يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]. وليعلم كل مبتدع أنه - مع تحريم سلوكه وابتداعه - هو مُتَنَقِّصٌ لدين الله - عز وجل -، حيث زعم أن ما ابتدعه مما تدعو الحاجة إليه في دين الله - عز وجل -، وهذا معناه أن دين الله تعالى ناقص، ويكون بهذا مكذباً لقول الله - عز وجل -: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

فكل ما خالف هذا الدين الذي أكمله الله على يدي رسوله ﷺ فإن الله لا يرضاه، فإن الله يقول: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]. فقط، وقال: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]. فكل بدعة فإنها ليست من الإسلام بشيء.

فأناشد هؤلاء الذين يسلكون هذه الطرق من الرفاعية والقادرية والنقشبندية وغيرهم، أناشدهم الله - عز وجل - أن يرجعوا إلى دين الله، وإلى سنة رسول الله ﷺ، وأن يعلموا أنهم ملاقو الله - عز وجل - ومحاسبهم على

ذلك، كما قال: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ [الانشقاق: ٦]. وليتأملوا كثيرا قول الله - عز وجل -: ﴿قُلْ تَمَكَّلُوا أُنْذِرُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [الأنعام: ١٥١]. إلى أن قال: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

ولو أن المسلمين اجتمعوا على السنة، ولم يتفرقوا شيئا في عقائدهم ومناهجهم وسلوكهم، لو أنهم اجتمعوا على ذلك لحصل للأمة الإسلامية من النصر والتأييد والعز والتمكين ما لم يكن مما هم عليه اليوم من الوضع المشين، وذلك بسبب بعدهم عن دينهم، وتمسكهم به. والله أسأل أن يصلح المسلمين وولاة أمورهم وبطانتهم، إنه جواد كريم.

يقول السائل: لكن بالنسبة لرؤية يد الرسول ﷺ كما ذكر هذا الشخص، وتُرى مثلاً واضحة أيضاً أمام الحضور، هذا أيضاً نريد التعليق عليه.

فأجاب - رحمه الله تعالى -: أولاً نقول: إن هذه القصة، بل وكل قصة وكل خبر، فإنه لا يغني ثبوته إلا إذا وصل إلينا من طريق العدول، ثم إذا وصل إلى غاية السند فإننا ننظر أيضاً من هو هذا الرجل الذي تحدث بأنه رأى الرسول ﷺ؟ هل هو مقبول الخبر أم غير مقبول الخبر؟ ثم كذلك أيضاً ننظر كيف رأى النبي ﷺ، أو شيئاً من جسمه - عليه الصلاة والسلام -؟ هل هو على الوصف المعروف، الذي ثبت من أوصاف الرسول ﷺ أم لا؟ لأن من رأى النبي ﷺ في المنام فقد رآه حقاً، ومن رآه حقاً فإنما يكون على حسب ما هو عليه في الحياة الدنيا ﷺ، ثم إن من رأى يداً، قيل له - أو وقع في نفسه - إنها يد الرسول - عليه الصلاة والسلام - فليس بمُسلم أن تكون هي يد الرسول ﷺ؛ لأن النبي - عليه الصلاة والسلام - إذا رُئي فإنما يرى على الوصف الذي هو عليه، وهذه القصة كما قلتُ أولاً يُشكُّ في خبرها، ويشكُّ في المُخبر بها، ويشكُّ أيضاً فيما رآه، فليست بمُسلمة إطلاقاً.

